وضمها والذين يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف
من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك
امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة
وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وان هم كذبوك وانت صادق
وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه
ونحوه قول السيد العلاهة اذا اهانه بعض الناس انهم لو هيبوك وانما اهانوني
ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم
لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدونه بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم
الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل
يقول ما نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس
بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس
عندنا احد غيرنا فقال والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي
باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن
الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل
لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله ثم اليه يرجعون ولقد كذبت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على
ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك
ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من
نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر
على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي
من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا
تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم
منها بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه
وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى

بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه
على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو
استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء
النفق في الارض والسلم في السماء هو بيان الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت
النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون
عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن
من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون
يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب
من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى
الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء
فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل
معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما
قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء وقالوا لولا نزل عليه
آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون وما من
دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب
من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من
يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لولا نزل عليه آية لولا
نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان
تانيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات
عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل
على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها الا امم
امثالكم مكتوبة ارزاقها وآجالها كما كتبت ارزاقكم وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما
تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب
ان نثبت مما يختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الطيور والدواب
فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء فان قلت
كيف قيل الا امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1